"المصطلح اللساني في دراسة الديالكتولوجيا أو علم اللهجات.

العربية في المغرب الأقصى نموذجا"

من إعداد الباحثة: "سهر لقماري" / المملكة المغربية

مجال التخصص: الدراسات العربية تخصص لغة ولسانيات

ملخص:

اللسانيات علم إنساني حديث، له مدارس ومناهج، إلا أنه خلف ضجة في ساحة الدراسة ووضع المصطلحات، بل ومصطلح اللسان نفسه صعُب تحديده تحديدا مطلقا، وقد عانت الدراسات العربية من مشكل تحديد المصطلحات من جهة بسبب كونها الرائدة الأولى في الدرس، ولم تستطع التخلي عن مناهجها القديمة، ومن جهة أخرى لم تستطع ألا تواكب التيار الحديث وتستخدم الترجمة للمصطلحات، هذه العملية التي زادت من التعقيد بسبب شساعة المعجم اللغوي العربي ومعانيه، ثم بسبب التنوع اللهجي لنفس اللغة، والتي لا يستثني فيها الدرس اللسانيّ، الفصيحَ منها من العاميّ. وقد اخترنا في هذه الورقة دراسة اللهجة المغربية باعتبارها لهجة عربية تعرضت للكثير من التأثيرات التاريخية والاجتماعية، فوجهنا الأنظار نحو اللسانيات الاجتماعية والتاريخية، وسلطنا الضوء على مجمل الأسس والمتغيرات التي جعلت منها لهجة عربية مميزة وذات أصول ثابتة وإن كانت عربيتها حديثة مقارنة بالجغرافيا الأم للغة العربية .

كيف ارتبطت دراسة اللهجة بدراسة اللسانيات؟ وما المصطلحات العلمية التي ارتبطت بدراستها؟ ثم كيف أصبحت أرض المغرب ارضا عربية؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار لهجته كلهجة عربية؟

من خلال محاور هذه الورقة، سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في إطار منهجي بحثي الغرض الأساس منه الإحاطة بالمصطلح اللساني وبعض مصطلحاته الفرعية ومناهجها.

مدخل

عرف الدرس اللساني الكثير من التشعبات والتداخلات التنظيرية مما جعل وضْعَ مصطلح قارّ له صعبا ومتباينا تباين المدارس التي أخذته بالدرس ومرجعيات كل مدرسة وزمن ومكان ظهورها. ومما زاد وضع المصطلح تعقيدا انبثاق عدة مصطلحات فرعية تندرج تحت مظلة المصطلح الأصلي، وفوق هذا وذاك وضعت الترجمة للمصطلحات اللسانية بعدا آخر في عالم التعقيد والنقد، مما أظهر للوجود تيارا فكريا دوره تدارس تلك المصطلحات والبحث في مدى قابليتها للوضع العلمي أو ضرورة إنزالها منزلة العلم أصلا.

إن استقرار المصطلح في أي علم يتدارس هو من باب استقرار هذا العلم في مجاله، وثبات دعائمه، وغياب هذا الظرف يكسو الدراسة اللسانية رداء التعقيد وقابلية الخوض والانحياز الفكري، ويغيّب التطبيق المنهجي والتجديد والابتكار، ويحصره في النظري من الدراسات، بل والمحلي منها، مما يزيد من فقده للعالمية. وعلم اللسانيات ليس الوحيد الذي يعاني هذا الاضطراب، إنما الأمر ينطبق على غالبية العلوم الإنسانية.

تتطرق هذه الورقة البحثية لموضوع هذا المصطلح في مستويات متدرجة، تبدأ بالتعريف به كمصطلح حيادي ثم كمصطلح على طاولة الدرس العربي بما يحمل من حمولات فكرية وتعقيدات مصطلحية سببتها الترجمة في تداخل مع ما يميز الدراسة اللغوية العربية السابقة لظهور هذا العلم "الغربي" إن صح التعبير.

وكان اختيار علم اللهجات أو الديالكتلوجيا ليس اعتباطيا، لأنه العلم الأكثر تعقيدا في دراسة اللسانيات والأكثر تشعبا وتداخلا بين مختلف العلوم اللسانية المتفرعة عنه والأنسب للتطبيق والإسقاط. ثم نحن نتحدث عن اللغة في كنهها وفي عقر دارها، وكيف تؤثر وتتأثر بشتى العلوم الإنسانية. فقد بات علم اللهجات مسرحا لتدارس علم اللسانيات باختلاف مصطلحاته.

وكنموذج للدراسة تم اختيار اللهجة المغربية للمغرب الأقصى، حيث المجال خصب لتطبيق مختلف التنظيرات العلمية للسانيات، بل وللعلوم الإنسانية وحتى التطبيقية، بين التاريخ والجغرافيا والانثروبولوجيا والبيولوجيا والفلسفة والإيديولوجيا ومؤخرا دخل على الخط علم الجينات والحاسوب...

هذه اللهجة التي حيرت الكثير من الدارسين كما حيرت كل من يسمعها فيعتقد أن بها من الغرابة ما يجعلها صعبة النطق والفهم! هذه اللهجة التي تمثل اللغة العربية الأصيلة التي اندثرت وانسلخت من أصولها الشرق

أوسطية لتجد لها مستقرا ومستودعا بعيدا عن التأثير الفارسي والتركي الذي كان شغله الشاغل طمس الهوية العربية أيام العباسيين والعثمانيين، ثم مع ما حمله الاستعمار الانجليزي من كراهية للعنصر العربي.

تحملت أرض المغرب الكثير من الهجرات العربية التي اختلفت أسبابها باختلاف الزمن، بداية مع الكنعانيين والفينيقيين مرورا بهجرة العرب التي سميت بالتغريبة، ثم آخرها هجرات القبائل العربية الأندلسية، ومن بعدها هجرات مختلفة بين هروب من فتن أو من استعمار.. فانصهر المهاجرون في عالمهم الجديد المسالم ووطدوا تواجدهم، بل ووجدوا المكان مناسبا لإحياء ثقافاتهم والاعتناء بها والمحافظة على أصولها، ورغم أن العرب هم الأكبر نسبة في ذلك، فلم يكن الواجب إفرادهم بالوجود دون ذكر التأثير البربري للسكان الأوائل، التأثير الذي اقتصر على الشكل ولم يؤثر في المضمون، حتى أظهر للوجود لهجة عربية قد يجوز اعتبارها قومية، اسمها: اللهجة المغربية.

المحور الأول: المصطلح اللساني وإشكاليات التصنيف

1. ماهية المصطلح اللساني:

اللغة إحدى أهم الظواهر الإنسانية التي ميزت الإنسان عن غيره من الكائنات، فاهتم بها كأصوات يتواصل بها مع الآخر، وصار يطورها مع الزمن حتى صارت بنية متكاملة.

فاجتهد الدارسون والمهتمون بتاريخ البشرية وكذا الفلاسفة والعلماء لدراسة بنية اللغة ووظيفتها، وكيفية عملها وصياغتها. بل وتجاوزوا ذلك إلى اكتساب طرق منهجية لتعليمها لغير الناطقين بها.

فصار الوقوف جادا عند الظاهرة اللغوية بحثا وتحليلا، فأصبحنا نتحدث عن الدرس اللساني أو اللسانيات.

لماذا مصطلح اللسانيات؟

لغة: للسان دلالتان: العضو من جهاز النطق ، lange، وللغة (الأصوات والرموز) .langue .

واستُخدم في القرآن الكريم لفظ اللسان بمعنى لغة في عدّة مواضع، نحو: "لسانُ الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" (النحل/ 103)، وقوله تعالى"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبينَ لهم" (ابراهيم/04).

واستُخدم في الشعر العربي بالمعنى نفسه، في قول طرفة:

وإذا تلسُنُني ألسُنُها إنني لستُ بموْهونٍ غَمِرْ ؛ أي أكلمها باللغة التي تفهمها واللسان الذي تريده.

وفي قول كثيّر : نمت لأبي بكر لسان تتابعت بعارفة منه فخصّت وعمّتِ

ففي هذه الشواهد جميعا استُخدم اللسان مرادفا للغة.

وفي الصياغة الصرفية:*لسانيات: نسبة إلى اللسان (مفردا)؛ وهو استخدام شائع في المغرب العربي.

ألسُنية : نسبة الى الجمع (ألسنة)؛ وهو استخدام شائع في المشرق العربي.

- يقابله في الأجنبية: linguistics – linguistiques

اصطلاحا: علم يدرس "اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزاعات التعليمية والأحكام المعيارية. "[1]

والمقصد من هذه الدراسة بيان جوهر كل لغة من هذه اللغات واستراتيجية عمل كل منها والنظر إليها على أنها منظومة كلية تتألف من مستويات متراتبةٍ يستند الأعلى منها إلى الأدنى" [2]

ليمتد موضوع اللسانيات حيث كل نشاط لغوي للإنسان في الماضي والحاضر، ويستوي في هذه الإنسان البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، وجودة أو رداءة. "[3]

فباتت اللسانيات بذلك علما" يدرس اللغة أو اللهجة دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها، وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وتربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع والبيئة الجغرافية. "[4]

ويظل إيجاد مصطلح نهائي ضابط ومسلّم به غير وارد، بسبب تباين الرؤى الفلسفية والتنظيرات العلمية والتحاليل التاريخية والاكتشافات الصارخة المتجددة والمتأثرة بحقبة دون أخرى.

2. إشكالية التصنيف المنهجي:

من المعروف أن المنهج هو مجموعة العمليات العقلية الاستدلالية التي تستخدم لحل مشكلة العلم، وبناء العلم نفسه في مرحلة من تاريخه. وقد تعددت المناهج في دراسة اللغة أو اللسانيات حتى تفرعت لعلوم احتاجت بدورها لمناهج خاصة بها وهكذا حتى لم نعد نتحدث عن علم واحد له مناهج إنما مناهج علوم تحت مظلة العلم الأساسي وهو العلم اللغوي.

وحتى لا نعتبر أن المدارس الغربية كانت السباقة لوضع مناهج في الدرس اللغوي، فإنه من الضروري ألا ننكر جهود العرب الأولى في التأسيس له، بداية من حماية القرآن الكريم من التحريف والتصحيف، مرورا بنشر لغة

---

[1] قدور أحمد: مبادئ اللسانيات العامة، جامعة حلب، 2006، ص:15.

[2] قضماني رضوان: مدخل إلى اللسانيات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة البعث، بلا تاريخ، ص1

[3] عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985م، ص:7.

[4] مطر، عبد العزيز: علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح، قطر، 1985،ص: 3.

الحضارة الإسلامية التي بلغت مبلغها من الاتساع الجغرافي، ونذكر من أعلام هذا الدرس: أبو الأسود الدؤلي، وابن جني والخليل الفراهيدي، وسيبويه، والثعالبي وغيرهم من المؤسسين لما يعرف اليوم بالمنهج الوصفي في الدرس اللساني.

والذي صار المنهج الأساس في الدرس اللغوي الحديث بدل المنهج اليوناني/ الأوروبي الفلسفي التقابلي أو المقارن. وقد أيد ذلك أحد أعلام الدرس الوصفي العربي الحديث وهو تمام حسان الذي قال: الاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي... وقد كان أيضا أصلا من أصول النحو العربي نتيجة لطبيعة الحياة العربية، ولطبيعة الحركة العلمية التي نشأت في مناخ عام أساسه النقل والرواية. وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو اتجاه وصفي في تناول كثير من ظواهر اللغة. "[5]

وتوسعت دائرة المناهج المعتمدة في الدرس اللساني بين وصفي، تجريبي واستدلالي في الآن ذاته، فهو ينطلق من الظاهرة اللغوية إلى استنباط المعايير التي تنظمها وتضبطها، ولا يقف من اللغة موقفاً قبلياً ينطلق من معيار

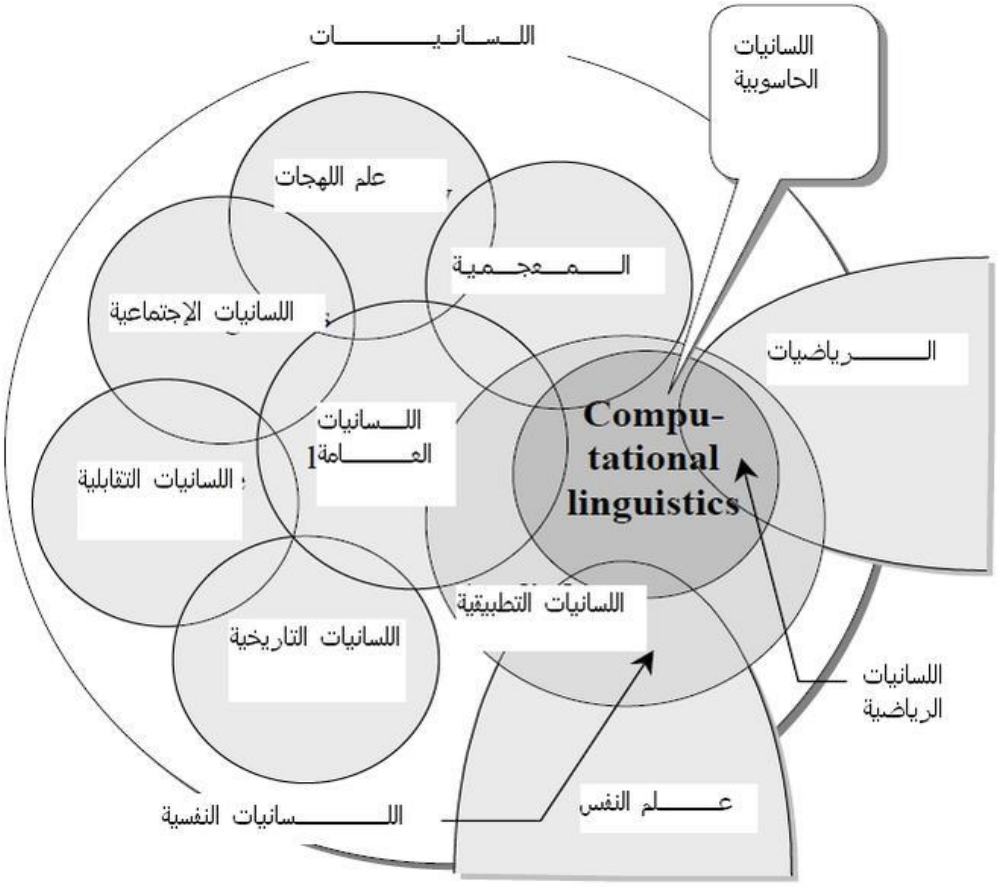

[5] حسان تمام : اللغة بين المعيارية والوصفية ، القاهرة،1958،ص:37،
وانظر أيضا كتابه: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1974م.

سابق على الظاهرة اللغوية. ويقوم المنهج الوصفي على الوصف والمعاينة ثم الاختبار والتصنيف والتبويب والاستقراء والتحليل الإحصائي وصولاً إلى استنباط القوانين التي تنظم الظاهرة، لاجئاً إلى استعمال المثُل والأنماط الرياضية في نظم هذه القوانين، ثم يقوم بتعليلها ليكوّن منها نظرية لسانية عامةً فعالة قابلة للتطور.

المحور الثاني: الديالكتلوجيا أو علم اللهجات:

1. ظهور مصطلح اللهجة

اتفق أغلب الدارسين على تعريف اللهجة على انها مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة معينة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية وهو ما اصطلح على تسميته لغة، ويتيسر للمجموعات التي تتحدث لهجات مختلفة ولغة واحدة التواصل بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من حديث بقدر الرابطة التي تربط تلك اللهجات.[6]

اعتبر السبب الأساسي لهذه الظاهرة هو انعدام الأمن اللغوي، والمقصود منه ظهور مشاعر من القلق، أو الوعي الذاتي، أو فقدان الثقة في العقل عندما يبدأ المتكلم باستخدام اللغة. في العادة، تنبع هذه الحالة من القلق من اعتقاد المتحدث أن خطابه يفتقر إلى المعايير المفهومة و/أو الشكل اللغوي المتوقع من قبل محاوريه.

ينتج انعدام الأمن اللغوي ظرفيًا، ويكون في الغالب مبنيًا على شعور بالضعف تجاه الأداء الشخصي في أطر معينة، فضلًا عن كونه سمة أساسية في الفرد. يمكن لهذا النوع من انعدام الأمن أن يؤدي إلى تغيرات أسلوبية وصوتية تبتعد عن خطاب المتكلم المتأثر الافتراضي؛ من الممكن تأدية هذه التغيرات بشكل واعٍ من جانب المتحدث، أو قد تكون انعكاسًا لمجهود غير مقصود لمحاولة تنويع الخطاب أو جعله أكثر هيبة أو أكثر ملاءمة للسياق. يتصل انعدام الأمن اللغوي بالتصور السائد عن أنواع الخطاب في أي مجتمع، ومن ثم قد يختلف تبعًا

[6] ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، الجزء الأول، ص:15

لاختلاف الطبقة الاجتماعية الاقتصادية أو الجنس. ويُعتبر ذلك مهمًا بشكل خاص في المجتمعات متعددة اللغات أيضًا.[7]

لقد اهتم العرب من قبل بدراسة اللهجات العربية واهتموا بتحديد مواطنها وحصر ظواهرها الصوتية والدلالية والمعجمية والنحوية، وكان عملهم هذا قريبا من عمل الأوربيين في الأطالس اللغوية وإن كان واضحا أن الفرق الزمني والمنهجي قد جعل عمل الأوربيين أكثر دقة ونفعا. [8]

وقد كان العرب يسمون لهجات القبائل لغات، حيث كان تغلّب اللهجة وانتشارها عاملا في تحولها للغة، كنا حدث مع اللاتينية وتفرع لهجاتها كالإسبانية أو الفرنسية أو الجرمانية وتحولها للغات،

2. دراسة اللهجة علم من علوم اللسانيات:

يمتنع علم اللغة الحديث عادةً عن إطلاق أحكام تخص اللغة مثلما يستخدمها الناطقون الأصليون، رافضًا فكرة الصحة اللغوية بصفتها دون أساس علمي، أو معتقدًا على الأقل أن أي رمز للاستخدام الصحيح يُعتبر نسبيًا في الطبيعة؛ وليس كل ما يتداول على الألسن قد يعد لغة ما لم يكن موحدا بين جماعة كبيرة وذا سلطة تواصلية واسعة؛ غير أن الأفكار اللغوية السائدة والتوقعات الاجتماعية لا تتبع بالضرورة الجمع العلمي..

وما بين العامية والدارجة واللهجة، انتهى علماء اللغة إلى اختيار لفظ اللهجة لمصطلح علمي منبثق عن علم اللسانيات، ترجمة عن الديالكتلوجيا المصطلح اليوناني، فبات علما "يعمل وفق المنهج الذي تدرس به أي لغة من ناحية الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، مع وضع معجم يبين حدودها في أطالس لغوية إضافة. إلى دراسة الصلة بين اللهجة والمجتمع وبينها وبين البيئة الطبيعية وغير ذلك.." [9]

وعليه وجدنا الدارسين يتبعون مناهج لسانية فرعية لدراسة كل لهجة كما يفعلون مع كل لغة، وكانت اللسانيات التاريخية والاجتماعية وما ينطوي تحت مظلة مدارسها، فكانت من من أبرزها، دون استثناء علم

---

[7] ترجمة عن : Labov, William. "The Reflection of Social Processes in Linguistic Structure. Readings in the sociology of language. Ed. Joshua A. Fishman. Massachusetts: Mouton, 1972, Print

[8] عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة،ص:79

[9] انظر تعريف اللهجة في قاموس ديبوا وصاحبيه، ص:150، 151

الصوتيات والجينات والحاسوب والتربية... كعلوم موازية للدراسة الحديثة لكل لهجة، وهنا طبعا وجدت اللسانيات التطبيقية مسرحا تجريبيا لتطبيق مناهجها.

3. الديالكتلوجيا بين علم اللسانيات الاجتماعية وتداخله مع علم اللسانيات التاريخية:

1.3. اللسانيات التاريخية

هي الدراسة العلمية لتغير اللغة بمرور الوقت، وهو فرع من اللسانيات يهتم بدراسة التغييرات الصوتية والنحوية والدلالية، وإعادة بناء المراحل المبكرة للغات، واكتشاف وتطبيق الأساليب التي يمكن من خلالها إثبات العلاقات الجينية بين اللغات. وبظهور اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر كانت القواعد العامة تبحث عن ايجاد تفسير للاستعمالات الخاصة للغة وفق قواعد عامة تتأسس حول المنطق. وقد كان اللغويون العرب القدامى سباقين إلى رسم هذه الاستراتيجية للغة العربية. فتأسس على أيديهم علم أصول النحو مستثمرين المنطق اليوناني وعلم أصول الفقه. غير أن ميلاد اللسانيات التاريخية في أوروبا حدد تصورات جديدة لم تكن متبلورة في السابق، مثل التغيرات التي تشهدها اللغة فهي ليست رهن الإرادة الواعية للبشر وانما ضرورة داخلية. كما أنها طبيعية وتخضع للتنظيم الداخلي للغات.

وهنا تجدر الإشارة كون اللسانيين اتفقوا على أن العامل الأساسي في تفرع اللغة هو العامل الجغرافي والاجتماعي، بينما أصر دو سوسير على إضافة عامل الزمان، فتباعد الأمكنة وحده لا ينشئ الاختلافات اللغوية بل لا بد أن يتبعه تعاقب للزمان.

تنوع المكان

لغة أم / أصل ←——————— لغات بنات/ لهجات

عبر الزمان

2.3.علم اللسانيات الاجتماعية أو اللغويات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي ، بالانجليزي: Sociolinguistic :

هو فرع من علم اللغويات أو اللسانيات، يهتم بدراسة تأثير جميع جوانب المجتمع، ويتضمن ذلك المعايير الثقافية والتوقعات والبيئة وطريقة استخدام اللغة والآثار المترتبة على استخدام اللغة في المجتمع. وتختلف اللسانيات

الاجتماعية عن اجتماعيات اللغة، حيث تركز اللسانيات الاجتماعية على تأثير المجتمع على اللغة، بينما تركز اجتماعيات اللغة على تأثير اللغة على المجتمع. وتتداخل اللسانيات الاجتماعية إلى حد كبير مع علم التخاطب، ولها ارتباطاً تاريخياً وثيقاً مع علم الإنسان اللغوي، وقد حصل مؤخراً جدل حول الفرق بين المجالين.

ويَدرس هذا العلم أيضاً كيف تختلف لسن اللغة بين الجماعات التي تفصلها متغيرات اجتماعية معينة مثل العرق والدين والجنس والمستوى الاجتماعي ومستوى التعليم والعمر وما إلى ذلك، وكيفية استخدام إنشاء هذه القواعد والالتزام بها لتصنيف الأفراد في طبقات اجتماعية أو اجتماعية اقتصادية. وكما يختلف استخدام أي لغة من مكان إلى آخر (اللكنة) يختلف استخدام اللغة أيضاً بين الطبقات الاجتماعية، وهذه هي اللهجات الاجتماعية، التي يهتم علماء اللسانيات الاجتماعية بدراستها.

ويندرج تحت هذا العلم فروع أخرى **كعلم اللهجات** –وهو موضوعنا هنا – والتخطيط اللغوي، والتحول اللغوي (Language Shift) والموت اللغوي.

المحور الثالث: المغرب الأقصى التاريخ والجغرافيا اللغويين :

1 – خريطة المؤثرات العامة

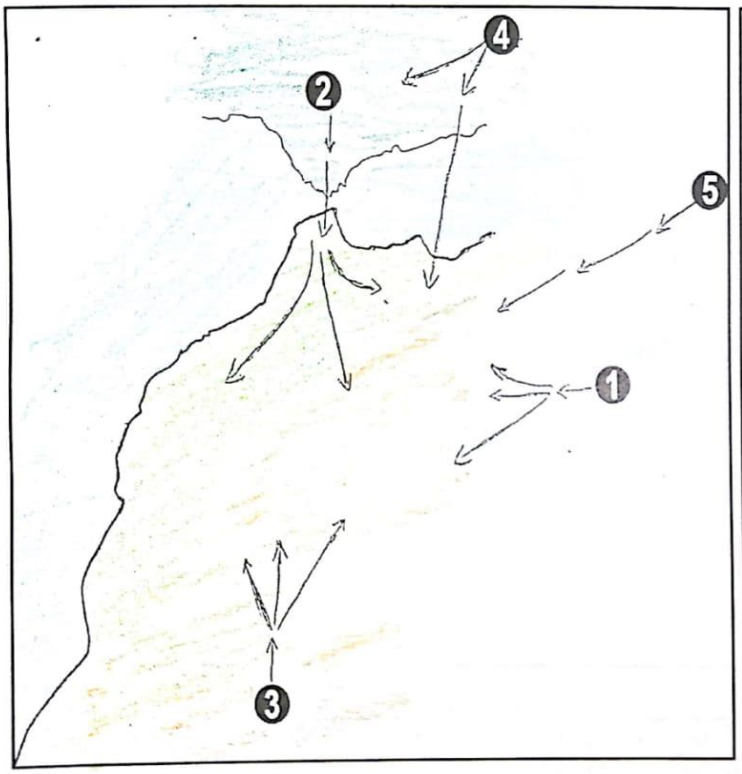

مفتاح الخريطة :.

❶ الأثر العربي وقد ابتدأ مع الفتوحات الإسلامية و اشتد مع هجرة القبائل العربية مع مطلع القرن الخامس وما بعده (أنظر الخريطة 2).

❷ الأثر الأندلسي وقد نشط مع الفتح المرابطي وقوي مع بداية سقوط الولايات الأندلسية.

❸ الأثر الإفريقي (السوداني) و يمكن ملاحظته من خلال : العبر ج. 6، ص. 200 – 201. و الاستقصا، ج. 3، ص.151 – 152 (في العلاقة الدبلوماسية، والمبادلات التجارية الصراع على القصور الجنوبية...)، وصف افريقيا، ج. 1، ص.137.

❹ الأثر الإسباني و الصقلي ويدل عليه التاريخ الدبلوماسي و خصائص الأجناس المكونة للجيش الموحدي و المريني (انظر الألفاظ المغربية الأندلسية في معيار الونشريسي، ص. 48).

❺ الأثر الشرقي بما فيه الأثر التركي و الفارسي وغيرهما يلاحظ ذلك من خلال (معجم كولان XVI، وصف افريقيا، ج. 1، ص.136)

1. المؤثرات العامة:

المغرب الأقصى لفظ يطلق جغرافيا على بلاد المملكة المغربية اليوم، وسمي بالاقصى اعتبارا لتاريخه القديم الممتد حتى ليبيا اليوم شرقا وموريطانيا جنوبا، فكانت أقصى نقطة فيه هي المغرب اليوم بحدوده مع المحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، وطبعا تاريخيا دون إهمال الأندلس المسلوبة التي كانت من بين حدوده حتى بعد حكم بني الأحمر القحطانيين والسقوط سنة 1492م، ودون إهمال الامتداد العربي الإسلامي حتى نهر السينغال؛ وإد عرفت المنطقة بالمغرب العربي الكبير، باعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية للمنطقة بأسرها، والتي تشكل نسبة 42٪ من مساحة العالم العربي. تميزت هذه المنطقة نسبة لمغاربيتها بالتشابه اللهجي بسبب تشابه المؤثرات والعوامل الحضارية والنوع البشري.وعودا على المؤثرات العامة في عربية المغرب الأقصى، نلاحظ ما جاء في هذه الخريطة، التي تلخص مجمل المؤثرات ومصادرها حسب ما جاء في كتب التاريخ والاجتماعيات:

وهذه الخريطة تظهر الهجرات التي عرفتها أرض المغرب والتي جاءت معها بحمولاتها الثقافية والفكرية والجينية بجانب اللغوية، في اندماج مع الجنس الأمازيغي (البربري).

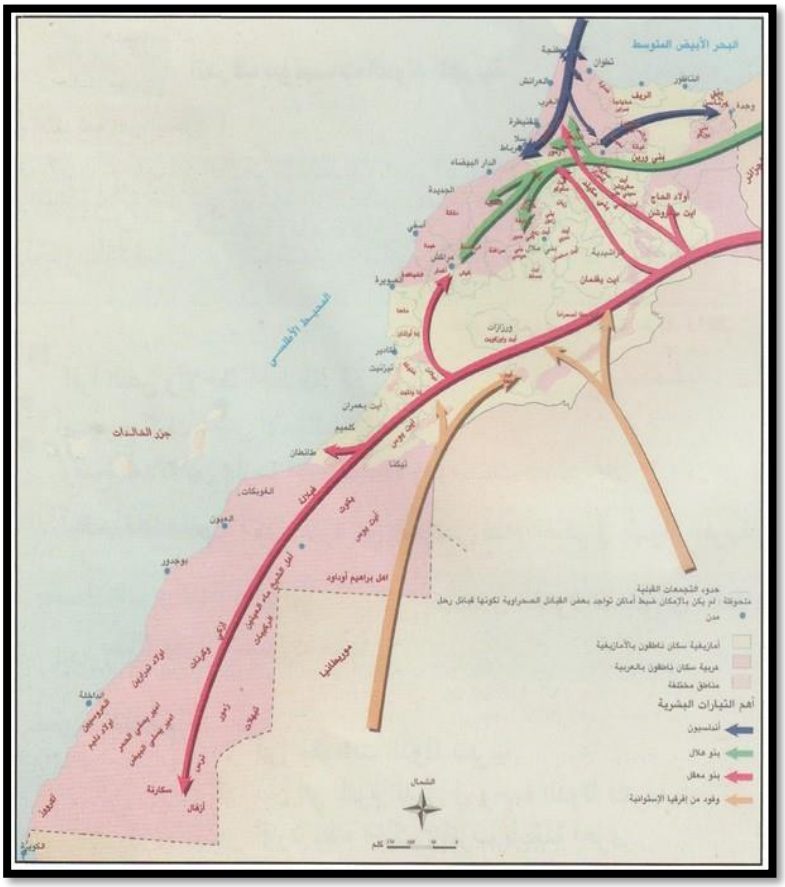

خريطة اللهجات وأهم الهجرات البشرية عبر الحقب التاريخية

وهذه الخريطة تمثل القبائل العربية التي استوطنت الأندلس قادمة من الجزيرة العربية والشام والعراق، والتي هاجرت أغلبها لأرض المغرب قبل وبعد السقوط:

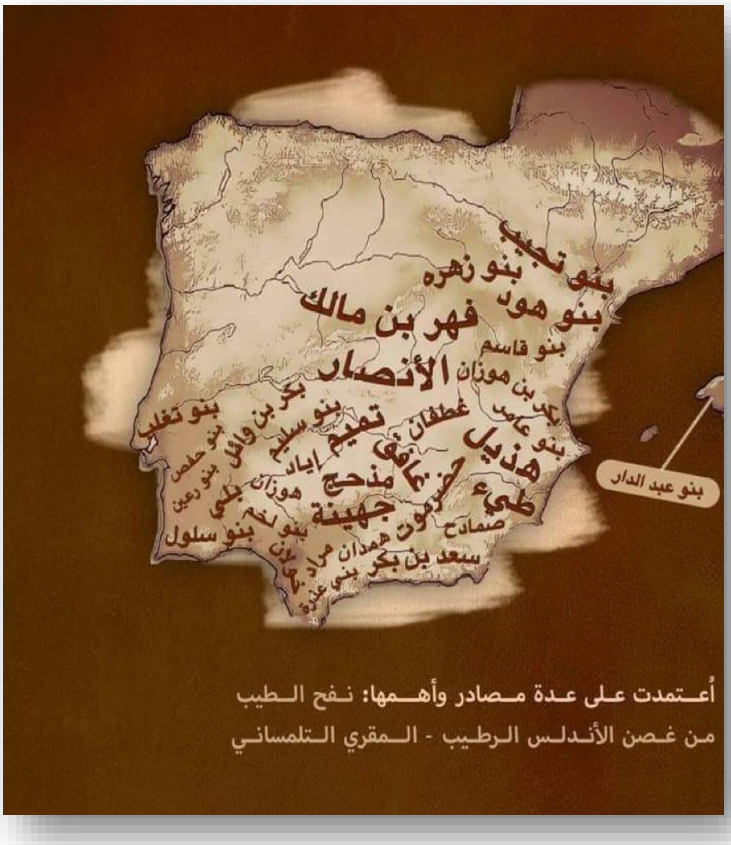

من خلال استقراء الخرائط نلاحظ مدى تشعب العنصر العربي بأرض المغرب وامتلاكه زمام اللغة، وكيف كان له بالغ الأثر في عربية البلاد وانبثاق لهجة جديدة كان لزاما أن تصنف ضمن لهجات الوطن العربي الكبير.

2. سهولة انصهار الجنس العربي:

لقد حصل انصهار اجتماعي، بسبب انصهار تاريخي مواز، ولّد مادة لغوية غنية أشبه بالكونية، حيث كانت أرض المغرب محط اهتمام متنوع الأغراض، بين ما هو سياسي وعسكري وتجاري وعلمي واجتماعي وديني وثقافي.. خلف لغة تراثية كان العنصر العربي الغالب عليها، وحسب محمد بن شقرون [10] فقد ساعدت العلاقة

[10] محمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية ،انظر من الصفحة 29 / ومن الملاحظات الأساسية خول علاقة العربية بالمازيغية ووضع كل منهما، أن الصراع اللغوي وحالاته لا تنطلي عليهما إذ لهما خصوصية تستحق العناية والدرس (انظر الصراع اللغوي ص: 191-211 من كتاب: في علم اللغة العام والفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية بالمغرب، ترجمة وتعليق عبد العالي الودغيري.

بين العرب والمازيغ على انتشار العربية ولم تكن هذه العلاقة في يوم من الأيام علاقة صراع، بقدر ما كانت علاقة تكامل وتعايش ويدل التاريخ السياسي والحضاري المغربي على عروبة المازيغ[11].

وإن شئنا تصنيف محطات لظهور الجنس العربي بأرض المغرب يمكننا تحديده حسب مختلف الدراسات والأطاريح البحثية:

- تنقل أمم عربية قديمة عبر البحر الأبيض المتوسط لسواحل المغرب وإنشاء مدن ومراكز اقتصادية للتبادل وأخرى للاستقرار، ونذكر منهم الكنعانيين والفينيقيين ... حتى أن بعض الدارسين ذهب لاعتبار أصل السكان الأصليين من أهل اليمن استنادا لتشابه الخط الأمازيغي (التيفيناغ) وخط السند اليمني السبئي الظفاري والفينيقي الكنعاني؛ استنادا لآثار اركيولوجية وميثلوجية. "أو علاقة اللغة الأكادية بالبربرية، ومنهم من يذهب إلى تشابه النحو البربري والعربي في تطور للسامية.[12]
- هجرة قبائل من شبه الجزيرة العربية في اتجاه شمال إفريقيا قبيل الفتح الإسلامي، نذكر منها قبائل بني هلال وبني سليم وبني معقل وقبائل قيسية خصوصا مع ما سمي تاريخيا بالتغريبة، هذه القبائل التي انتهت في عهد الموحدين إلى الاستقرار بسهول المغرب وسواحلها وواحاتها الصحراوية.
- الدعوة الإسلامية التي جاءت بحمولتها اللغوية العربية مع الأمويين الفاتحين، ثم مع آل البيت الشرفاء من النازحين، والتي دفعت بأغلب الأمازيغ لتعلم لغة الدين الجديد، والمشاركة في الجهاد وفي نشر الإسلام وتعليم تعاليمه وتحفيظ كتاب الله وسنة نبيه لطلاب العلم.
- مخالطة العرب المهاجرين، سواء القادمين للاستيطان أو النازحين هروبا من الحملات المسيحية أو الفتن والتعسف العثماني، وحتى من تم استجلابهم لاحقا لتصحيح اللسان العربي.. ثم استقرارهم بين قبائل أمازيغية سمح لهم بالمصاهرة واختلاط الأنساب لتثبيت العلاقات، وبما أن لغة الدين هي الأقوى، بالإضافة لتشجيع القبائل على الاستعراب خصوصا بعهد الموحدين والمرينيين، فقد استعربت قبائل عديدة وتبنت اللسان العربي رغم رطانتها مما سيولد لاحقا اللهجة المغربية.

---

[11] هناك من ذهب لاعتقاد به جعل كلمة مازيغ أو أمازيغ من أصل أبازيغ مع تحريف مخرج الصوت البائي ميما وهو تغيير جائز، مثال متاع وبتاع، أو في حالة غنة. وتعني أبازيغ من بزغ أي أشرف وظهر للوجود، وقد جاء في القرآن الكريم: فلما رأى الشمس بازغة. والله أعلم.

[12] محمد المختاري العرباوي، البربر عرب قدامى، ص: 161-187

مقارنة بين الحروف الظفارية بحروف التيفيناغ يوردها المؤرخ العُماني سعيد عبد الله الدارودي في كتابه حول: (عروبة البربر – مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان) طبع دار النعمان سنة 2018 بالجزائر. صفحة 276.

	مقارنة الحروف الظفارية بحروف التفيناق			مقارنة الحروف الظفارية بحروف الليبية القديمة (البونيقية)		
	التفيناق		حروف ظفار	الليبية القديمة		حروف ظفار
1	أ	ⵄ	O	ب	ⵄ	⊡⊙⊟
2	!	ⵅ	Z	ت	+	+
3	ب	ⵃ	⊖	ث	#	#
4	ت	+	+	ج	⋊ ⋉	⋊ ⋉
5	ج	ⵉ	I	د	⊐⊏ ∧	⊐⊏ ∧
6	ح	ⵊ	⋀	ر	○ □	○ □
7	خ	ⵋ	⋎	ز	ш ⊐	ш ⊐
8	د	ⵍ	⋀	س	ß ⊡	ß ⊡
9	ر-مفخمة	ⵎ	Q	ش	⅁ ⋇	⅁ ⋇
10	ر-مرققة	ⵏ	○	ص	—	—
11	ز-مفخمة	ⵐ	⋇	ط	⊐	⊐
12	ز-مرققة	ⵑ	⋇	ظ	T	T
13	س	ⵒ	⊙	ع	|||	|||
14	ش	ⵓ	⅁	ف	⋎	⋎
15	ص	ⵔ	⊘	ق	≡	≡
16	ض	ⵕ	E	ك	⅂	⅂
17	ط	ⵖ	E	ل	‖	‖
18	ع	ⵗ	⊢	م	⊔∪⊐	⊔∪⊐
19	غ	ⵘ	⊢	ن	׀	׀
20	ف	ⵙ	H	هـ	|||	|||
21	ق	ⵚ	⊵	و	=	=
22	ك	ⵛ	⊼	ي	⋷ ⋋ ᴚ ⋷	⋷ ⋋ ᴚ ⋷
23	ك	ⵜ		بين (ز) و (س)	∃	∃
24	ك	ⵝ				
25	ك	ⵞ	⊼			
26	ل	ⵟ	И			
27	م	ⵠ	⊏	اللوبية	الظفارية	
28	ن	ⵡ	׀	⅂L	⅂L	
29	هـ	ⵢ	⊖	÷	÷	
30	و	ⵣ	⊙⊙	⊙	⊙	
31	و	ⵤ	⊔	⅂Γ	⅂Γ	
32	ي	ⵥ	⋋	⊂	⊂	
33	بين ساكنين	ⵯ	⊙⊙	⋌	⋌	

المحور الرابع: اللهجة المغربية من اللهجات العربية، ما مقدار عربيتها؟

تميزت اللهجة المغربية عن باقي اللهجات العربية بكثرة اعتمادها على معجم لغوي عربي أغلبه قديم أو منسي أو مهمل، بالإضافة للفصيح منه القرشي المذكور في القرآن والسنة وكتب الفقه والتفسير، وإن كانت اللغة أو اللهجة الحضارية أوضح باعتبارها ترد على لسان مثقفين ودارسين بمدارس نظامية ومتعاطين لوسائل التواصل السمعية والبصرية، فلا زلت تجد بالمناطق العروبية البدوية والصحراوية كلمات ما قد تعرف بوجودها إلا إذا كنت مطلعا على المعاجم القديمة وأشعار المعلقات...! لكن الاندماج اللغوي والمؤثرات المتباينة التي سبق وأشرنا إليها، جعلت من هذه اللهجة بعيدة إن صح التعبير عن اللهجات العربية الأخرى التي أثر فيها التعصب القبلي والعنصر الفارسي والاكتساح العثماني وعوامل أخرى بزيادة الدخيل وتباعد المنطق اللغوي الفصيح(الذي كان هو اللسان القرشي السليم المستحدث) بجانب القبلي الأصيل. هذه العوامل التي كانت بعيدة عن المناخ المغربي لغويا واجتماعيا. ونسرد هنا بعض ما يميز اللهجة المغربية ويجعل منها لهجة عربية، بل ويذهب البعض لاعتبارها أفصح اللهجات العامية حسب دراساتهم؛ ومن بين هذه المميزات:

- 70% من اللسان المغربي لغة عربية، باقي النسب بين الأمازيغية واللغات الدخيلة كالفرنسية والإسبانية. (انظر خريطة اللهجات)
- الاهتمام بالتعليم الأصيل وتحفيظ القرآن الكريم، لا زال منذ بداية الدعوة الإسلامية للآن حتى بين صفوف القبائل الأمازيغية الرافضة للتعريب، مع العلم أن حتى هذه الأخيرة تثقن اللهجة المغربية باعتبارها صلة الوصل بالتحضر والمدنية.
- الاهتمام بالمجال العلمي والبحث والدراسة كان مطلبا بالمغرب، أنشئت لأجله مدارس وزوايا كان لها إشعاع كبير ولا زال، ولا دليل خير من إنشاء أول جامعة في العالم تعمل للآن (جامعة القرويين بفاس) كما كان الاهتمام بعلماء المغرب ونسخ كتبهم وتحقيقها بجانب من التحق من علماء الأندلس وباقي بقاع المغرب العربي.
- المستوى الأدبي والفني لا زال متأثرا لليوم بطبيعة الكتابة القديمة التي تستعمل اللهجة المغربية القديمة ، والتي تظهر في شعر الأزجال والموشحات والملحون وفي الامثال الشعبية والرسائل، بالإضافة للنصوص الرسمية والمخزنية والعقود العقارية مثلا. فتجمع بين الفصيح والعامي وبين الدخيل الذي جاء مع الأندلسي والإفريقي..

- لا تزال القبائل العربية وبطونها وفخذتها تتناسل لليوم وتحمل أنسابها معها، وتفتخر بأمجادها وتقاليدها وتعبر عن إخلاصها للقديم بلهجتها العروبية الزاخرة بالألفاظ العربية القحة، والنطق السليم رغم اعتمادها اللهجة المغربية لغة التخاطب والتواصل، يبقى الأثر واضحا في لكنتها المتميزة.

- رطانة اللسان البربري كما يحب أن يسميها ابن خلدون، أثرت في نطق العربية ولم تخالف بنية اللغة، فكانت اللهجة المغربية لسانا وسطا بين ما يناسب اللسان البربري الأمازيغي واللغة العربية بمخارج أصواتها حركات إعرابها.

- الدخيل: دخلت بعض الألفاظ عن طريق الخطأ اللسان الدارج على أساس أنها من العربي جهلا من العوام بمصادرها، وأحيانا تقبلوها إذ لم يكن لها من قبل سميا، وأغلبها جاءت مع الهجرات الأندلسية، أو الهجرات العربية المتأخرة على عهد العباسيين والعثمانيين، ومنها ألفاظ فارسية وتركية وعبرية وافرنجية، أو مختلقة من لهجات دول مجاورة جاءت عن طريق التجارة أو الرقيق او طلبة العلم. وأغلبها يستعمل بالصناعة والبناء والأثاث وبعض المظاهر المدنية؛ ومن أمثلة ذلك: **الشرجم** /النافذة، من أصل فارسي، **الدوزان**/ أدوات الإصلاح أو البناء فارسية، **الصقلي**/ خيوط ذهبية للحياكة كانت تصنع بصقلية بالأندلس، **طربوش**/ قبعة بين الفارسية والتركية، الباشا كلمة تركية، **بسطيلة** / أكلة مغربية جاءت مع الأندلسيين أصلها إسباني ، pastia...

ثم تأخر دخول بعض المفردات الأوربية بسبب الاستعمار والتي أغلبها ذات طابع إداري أو علمي كأسماء عربات النقل أو التطبيب والتداوي أو الجهاز العسكري: **البوطة** صفيحة الطهي الغازي نسبة لغاز البوتان butane، **الطوموبيل** السيارة تعريب للفظ: automobile، **البوصطة** مكتب البريد تعريب postal، **فرملي** / **فرملية** الممرض/ة، تعريب infirmière، **البوليس**، الشرطة/ policeا، **الگيرّه**، الحرب / la gerraا... وقد تضاءل استعمالها مع انتشار التعليم فتكاد لا تجد مثقفا يستعمل بعضها، فيعوضها باللفظ العربي، وإلا تكلمها خلال اللسان الأجنبي.

ملاحظات: ظواهر لغوية مشوشة:

- البدء بساكن والانتهاء بساكن عدا في حالات المد. يصعب نطق الكلمات متتالية، لكنها لكنة البربر الغالبة على بعض المناطق: إليك هذه الجملة(الفصيحة) منطوقة بلسان مغربي: "**مْشيتْ**

فْالصّْباحْ مْعَ النّْبْرْ لْلسُّوقْ، وْلْقيتْ كُلْشِي فيهْ غَالِي" إليك الجملة الفصيحة: " مشيتُ في الصباح مع نبر الشمس/أي طلوعها / للسوق أو إلى السوق، ولقيتُ كل شيء فيه غاليا."

– السرعة في النطق، وذلك بسبب قلة استعمال الحركات في النطق. مما يؤثر أحيانا على الحركة الإعرابية ويظهر الإدغام والإمالة في النطق، ثم قلة التفخيم والمدود نتيجة التغيرات النحوية. (حاول قراءة الجملة السابقة بسرعة، إذن أنت تتكلم كمغربي!)

– حذف الهمز أو قلبه مدا من أبرز الخصائص الصوتية المؤثرة والمعروفة لغويا؛ ولعل هذا ما جعل أهل المغرب يتبنون القراءة القرآنية برواية ورش، والتي تلغي أغلب الهمز، مثال قوله تعالى: منَ آمن بالله واليوم الآخر، وتنطق (منامن بالله واليوم لاخر)، ومن أمثلة حذف الهمز: الراس/الرأس، الفاس/ الفأس، المونة /المؤونة...

– القلب ظاهرة نادرة، ومن أمثلة ذلك: قال: گال / جاز: داز/ نتاع: متاع/ عنبوب / أنبوب، بهلا /بلهاء، الشمش/ الشمس، الحباله / الحمالة، الحمل... والأمثلة في هذه نادرة

– يكثر استعمال صيغة التصغير. وذلك من اجل التحسين لا التحقيرأو لوصف الحجم، فالمرأة الجميلة مثلا يقال لها: زوينة من زينة، وضريّْفة من ظريفة، والشجرة الصغيرة الضعيفة المورقة الخضراء لا يصلح لها سوى صيغة التصغير: الشجيرة الصغيوْرة الضعيّْفة المويرقة الخضيرة. والأُخيّ والوليّد والبنية والدويرة/الدار والكويّس /الكأس...

– يقل استعمال الضمائر، حيث لا يستعمل المثنى سوى المفرد والجمع / أنتَ، انتِ، هو، هي، ونحن /احنا أما انتمَ، هُمَ تصلح لجمع المذكر والمؤنث، أما أنا فتستعمل بنون للمضارعة كنحن، والفرق إضافة واو في نحن، مثال: أنا نمشي، واحنا نمشيو، أنا نأكل واحنا ناكلو..

– زيادة كاف أو تاء حسب لهجة كل منطقة، وذلك قبل الفعل المصرف، مثال: هو كيخرج معَه، احنا كنقرا، وهي شبيهة بإضافة الباء عند المصريين مثلا؛ أو كان قبل مصدر للدلالة على الماضي، مثال: كان غادي / من غدا يغدو، أو كنت ناعسَه/ اي نائمة.

– الجيم شمسية في المعرف ،وهذا وارد في الكثير من لهجات الخليج العربي: الجَّمل، الجّوهر، الجّيران، الجّايحه (الجائحة)، الجّْميل (الجميل أو المعروف).

خاتمة:

لعل الاطلاع على لغة قوم عن كثب، خصوصا إن لم تكن الفئة الدارسة من أهل ذاك اللسان، يظهر مدى صعوبة تناول الدرس اللساني للغة دون أخرى، وكيف تختلف المناهج حسب زمان ومكان ظهور تلك اللغة، وكيف يصبح وضع مصطلح دون آخر لمادة دراسية أمرا معقدا. لقد أغنت الدراسات العربية مجال علم اللسانيات بشتى الخصائص، وسمحت بتوظيف علوم مختلفة لسبر أغوارها، حتى أنها أغرت الكثير من العلماء الأجانب من المستشرقين للخوض فيها واعتبارها حقلا غنيا نشطا لا تنضب عطاياه.

اعتبرت اللهجة المغربية التي اعتمدتها للدرس هنا بما أتيح لي من البحث لغة جمعت بين الماضي والحديث، والفت بين شعوب وقبائل ما كان غير القدر كفيلا بتلاقيها وتعارفها، بل والاندماج بسلاسة وامن واستقرار لم تشهده أغلب لهجلت العالم بما فيها ما صار اليوم لغة شعب وأمة سواء بأوروبا أو بآسيا أو الأمريكيتين.. وكان ذلك نقطة سبق للغة العربية التي تثبت على مر الزمان أنها اللغة الوحيدة التي تصلح لغة لكل العالم.

وخير ما أختم به قولي قوله جل وعلا: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[13] صدق الله العظيم

[13] القرآن الكريم، سورة الحجرات آية 13 ،

المحاور:

ملخص

مدخل

المحور الأول: المصطلح اللساني وإشكاليات التصنيف

1. **ماهية المصطلح اللساني**
2. **إشكالية التصنيف المنهجي**

المحور الثاني: الديالكتلوجيا أو علم اللهجات

1. **ظهور مصطلح اللهجة**
2. **دراسة اللهجة علم من علوم اللسانيات**
3. **الديالكتلوجيا بين علم اللسانيات الاجتماعية وتداخله مع علم اللسانيات التاريخية**

المحور الثالث : المغرب الأقصى التاريخ والجغرافيا اللغويين

1. **المؤثرات العامة**
2. **سهولة انصهار الجنس العربي**

المحور الرابع : اللهجة المغربية من اللهجات العربية ، ما مقدار عربيتها ؟

ملاحظات: ظواهر لغوية مشوشة

خاتمة.

المصادر:

- القرآن الكريم
- ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية 1992
- أحمد قدور، مبادئ اللسانيات العامة، جامعة حلب، 2006
- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزي ها لسان الدين بن الخطيب. تحقيق إحسان عباس، دار صادر.
- التصميم الوطني لإعداد التراب، خريطة اللهجات وأهم الهجرات البشرية عبر الحقب التاريخية، المملكة المغربية 2001.
- حسان تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية
- حسان تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء 1974
- رضوان قضماني، مدخل إلى اللسانيات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة البعث
- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي القاهرة 1985م
- سعيد عبد الله الدارودي، عروبة البربر، مدخل إلى عروبة الأمازيغ من خلال اللسان، دار نعمان، الجزائر 2018م
- عبد العالي الودغيري، القاموسية العربية الحديثة بيت تنمية الفصحى وتحديث القاموس والتأريخ للمعجم. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- عبد العزيز مطر، علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح، قطر 1985م
- قاموس ديبوا dubois وآخرون، معجم اللسانيات.
- محمد المختاري العرباوي، البربر عرب قدامى، في جذور المسألة القومية، منشورات المجلس القومي الثقافة العربية19993 م
- محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الادب المغربي في العصر المريني. دار الثقافة، الدار البيضاء
- نور الدين دنياجي، وضع العربية في المغرب الأقصى خلال العصر المريني، إصدارات أمنية الدار البيضاء.
- Labov, William. "The Reflection of Social Processes in Linguistic Structure. Readings in the sociology of language. Ed. Joshua A. Fishman. Massachusetts: Mouton, 1972, Print